## حديث الأحرف السبعة وأقوال العلماء في تفسيرها

رابط المحاضرة على اليوتيوب
https://youtu.be/RWYUb23TRgs

### معنى الأحرف السبعة في الحديث

اختلف في معنى الحديث وتفسيره على نحو أربعين قولاً، وهذا الاختلاف يكشف عن عدم الوضوح في الحديث، ولهذا كان أحد الأقوال فيها: إنه من المشكل الذي لا يدرى معناه، لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة [١].

ولم ينقل المعنى المقصود لهذا الحديث عن النبي(ص) ولا عن الصحابة، باستثناء ما نقله التابعي محمد بن شهاب الزهري (١٢٤ هـ) عن الصحابة، قال كما في صحيح مسلم: "**بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال ولا حرام**" [٢]. ويفهم من كلامه أن الألفاظ المختلف في قراءتها لا يتغير معناها، وإنما الذي يتغير هو النطق فقط.

### الحرف في اللغة

قال ابن فارس في مقاييس اللغة: الحاء والراء والفاء، ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء. وكل المعاني التي ذكرت للحرف تعود لهذه الأصول الثلاثة. فأما الحدُّ فحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره، والحرف وهو (الوجه)، تقول هو من أمره على حرف واحد أي طريقة واحدة ووجه واحد. كما في قوله تعالى: **(ومن الناس من يعبد الله على حرف)** أي على وجه واحد. وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء، وعصاه عند الضراء، فقد عبده على حرف [٣]. **ويقال للناقة حرف** وهي الضامر شبهت بحرف السيف.

---

(١) السيوطي، الإتقان، ص١٣٠.
(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج ٢ ص ٢٠٢.
(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٢ ص ٤٢.

والأصل الثاني الانحراف عن الشيء، يقال انحرف عنه انحرافا والميل، وذلك كتحريف الكلام وهو عدله عن جهته، قال الله تعالى: **(يحرفون الكلم عن مواضعه)**. والأصل الثالث التقدير [١].

**وفي لسان العرب:** الحَرْفُ من حُروف الهِجاء، معروف وأحد حروف التهجي. وحرْفُ الشيء: ناحِيَتُه. وحرف السفينة والجبل: جانبهما. والحَرْفُ في الأَصل: الطَّرَفُ والجانِبُ[٢].

ونقل عن ابن سيده وهو لغوي أندلسي مشهور ((٣٩٨هـ)، قال: والحَرْفُ القِراءة التي تقرأُ على أَوجُه، وما جاء في الحديث من قوله (ص): نزل القرآن على سبعة أَحْرُف كلُّها شافٍ كافٍ، أَراد بالحرْفِ اللُّغَةَ. وروى الأَزهري عن أَبي العباس أَنه سئل عن قوله نزل القرآن على سبعة أَحرف، فقال: ما هي إلا لغات. وهذا أبو العباس هو من أعلم اللغويين في عصره (٢٩٠هـ) يلقب بثعلب، إمام الكوفيين في عهده، يقول الأزهري: فأَبو العباس النحْويّ وهو واحد عصْره قد ارتضى معنى اللغات في الأحرف السبعة، قال: "وهذه السبعة أَحرف التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كتب في مصاحف المسلمين [٣].

ومما تقدم يتضح أن معنى الحرف في اللغة وفي استعمالات العرب هو الطرف والجانب والوجه والحد.

### تفسير الأحرف السبعة في أقوال العلماء

حاول علماء القراءات وغيرهم تفسير الأحرف السبع، بعد اتفاقهم على أنها تخص النطق والقراءة، واختلاف العلماء في تحديد المراد من "الأحرف" المذكورة في الحديث، قد أوجد عدداً من الأقوال الكثيرة والمتضاربة في حقيقة تفسيرها، فرأى فيه بعضهم أربعين وجهاً، على أن أكثر هذه الأقوال لا تتفق مع ظاهر الروايات الصحيحة، ولا تتفق مع العقل والمنطق السليم، وليس من الصحيح أن القول في معناها يكون على نحو الجزم واليقين، مع ملاحظة ما ذكرنا أنه لا يوجد نص نبوي أو أثر من الصحابة يفسر الحديث، وكما

---

(١) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٤٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٩ ص ٤٢.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ٩ ص ٤١.

يقول ابن العربي: "ولم تتعين هذه السبعة بنص من النبي(ص) ولا بإجماع من الصحابة" [١] فلا نص ولا أثر في تفسيرها واختلف الناس في تعيينها" [٢].

وفي بحث معنى الأحرف السبعة سنقتصر على الأهم فيما ذكر من أقوال، والتي توافق اللغة وتقترب منها، ولهذا نذكر أربع محاولات تتمثل في أهم أقوال العلماء في تفسير الحديث:

**التفسير الأول: العدد سبعة لا يفيد الحصر**

هذا القول يرى أن عدد السبعة الواردة في الحديث لا يقصد به الحصر الحقيقي للعدد، بل استعمل العدد سبعة كناية عن الكثرة، والمقصود الأساس هو التيسير والتسهيل والسعة، فإن لفظ "السبعة" يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد (أقل من عشرة)، كما يطلق السبعون في العشرات (أقل من مئة)، وكذلك العدد سبع مائة يطلق فيلا إرادة المئات، ولا يراد العدد المعين، وهذا القول منسوب إلى عياض القاضي (٥٤٤هـ) كما في الإتقان للسيوطي [٣].

ولم يبين لنا السيوطي معنى الحرف في هذا القول، فلو سلمنا بأن العدد الحقيقي ليس مقصوداً بل الكثرة، يبقى أن الحرف ما معناه في الحديث؟ لكن ابن الجزري ذكر أن المعنى هو لغات العرب، قال: "**وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السعة والتيسير، وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب، من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك**" [٤].

مناقشة هذا التفسير:

هذا القول بأنه يخالف الروايات الصريحة التي تفيد التحديد حقيقة، مثل حديث ابن عباس في الصحيحين: أن رسول الله (ص) قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، محمد أبو بكر بن العربي ص٤٠٠.
(٢) البرهان، الزركشي، ص٢١٢. مباحث علوم القرآن، صبحي الصالح، ص١٠٣.
(٣) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١ ص ١٣٠.
(٤) النشر في القراءات، ابن الجزري، ج١، ص٢٥.

**التفسير الثاني: سبع لغات بنحو الترادف**

أن المقصود هو سبع لغات من لغات العرب، قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ): «سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم يسمع به قط، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات، ومعانيها مع هذا كله واحد ومما يبين ذلك، قول ابن مسعود: إني سمعت أولي القراءة فوجدتهم متقاربين، فأقرأوا كما علمتم إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال، وكذلك قال ابن سيرين: إنما هو كقولك: هلم وتعال وأقبل، ثم فسره ابن سيرين، فقال في قراءة ابن مسعود: إن كانت إلا زقية واحدة . وفي قراءتنا: ﴿**إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ والمعنى فيهما واحد، وعلى هذا سائر اللغات [١].

وهذا الرأي عرف به ابن مسعود وأبي بن كعب كما هو ظاهر الأحاديث التي نقلت عنهما ما يظهر منه أنهما يعتقدان بجواز الترادف في الكلمات المتفقة في المعنى، فقد ورد أنه قرأ: "كالصوف المنفوش" بدلا عن "كالعهن المنفوش" أو قراءته "إني نذرت للرحمن صمتاً بدلا عن "صوماً". [٢].

كما أنه الرأي الذي اختاره عالم التفسير المشهور محمد بن جرير الطبري، يقول: "الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإلي، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق، وتتفق فيه المعاني وإن اختلفت بالبيان به الألسن" [٣] ثم يتساءل الطبري فيما إذا قيل إنه لا نجد في كتاب الله حرفاً واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الألفاظ متفقات المعنى، ويجيب: قيل: إنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم فقد اختفت تلك الأوجه وبقي حرف واحد حاله حال الكفارة التي كان

---

(١) غريب الحديث، القاسم بن سلام، ج٣، ص١٥٩-١٦٠.
(٢) التمهيد، محمد هادي معرفة، ج٢، ص٩١.
(٣) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ج ١ ص ٤٣.

المكلف فيها مخيراً بين ثلاثة أمور ثم اختار المكلف ما هو أسهل له من بينها، واستمر الحال على ذلك [١].

**ومناقشة هذا التفسير في عدة أمور:**

**أولاً:** إن دلالة الأحاديث التي استدل بها لهذا الرأي والتي ذكرت الأمثلة من قبيل هلم وتعال، لا ينحصر فهمها بالترخيص في القراءة بالترادف، بل من المحتمل أن المقصود من الروايات ذكرت الترادف إنما ذكرت ذلك من باب المثال للدلالة على أن الحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها، ومختلف مسموعها، لا تكون في شيء منها: معنى وضده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده [٢] وليس المقصود هو جواز الاستبدال لفظ بلفظ يؤدي نفس المعنى.

**ثانياً:** اختيار الكلمات المترادفة لمعنى واحد ينافي الإعجاز القرآني، فالإعجاز كما يكون بالفصاحة والبلاغة يكون بالنظم وانتقاء المفردات وفي بنية الكلمة ومعناها الدقيق، ومن هنا لا يوجد ترادف يفضي إلى تطابق تام في المعنى، بل كل كلمة في القرآن تؤدي معنى خاص ودقيق قد تم اختيارها بدقة بالغة في مكانها المحدد وفي صيغتها من الجمع والمؤنث أو المفرد أو المثنى أو في المقدمة أو في المؤخرة وهكذا.

على أن هذا الرأي يوجب -كما يقول السيد الخوئي- هدم أساس القرآن، لأنه يسلب الإبداع والجمال والنظم في القرآن ويوجب هجره، ويسخر الخوئي رحمه الله من القائلين بهذا الرأي فيقول: هل يتوهم عاقل ترخيص النبي (ص) أن يقرأ القارئ في سورة يس بدل قوله تعالى: **(وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ. على صِرَاطٍ مستقيمٍ. تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ. لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ)**، يقرأ بهذه الكيفية: "**يس، والذكر العظيم، إنك لمن الأنبياء، على طريق سوي، إنزال الحميد الكريم، لتخوف قوما ما خوف أسلافهم فهم ساهون**" [٣]. وواضح الخلل في القراءة الثانية.

---

(١) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ج ١ ص ٤٣.

(٢) انظر: التمهيد، ابن عبد البر، ج ٨ ص ٢٨٣.

(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص ١٨١.

كما أن ابن الجزري يرفض هذا الوجه، ويقول: ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو أف، وأرجه، وهيهات، وهيت" [1].

وعلى أي حال لا شك في إن تفسير الحديث باللغات بمعنى اختلاف الأحرف السبعة في سبعة أوجه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة، هذا في الحقيقة يؤدي إلى الترخيص بقراءة القرآن بالمعنى، وهو كلام خطير جداً [2].

**ثالثاً:** الحكمة من تنْزيل القرآن على سبعة أحرف هي التيسير على المكلفين كما يفهم من أحاديث الأحرف السبعة، بسبب حصول العسر لو تقيدت القراءة بحرف واحد، لاختلاف ألسنتهم، وهذا الاختلاف لم يكن في استعمال الألفاظ المترادفة، بل أكثر اختلافهم إنَّما كان في اللغات بمعنى اللهجات، من إخفاء وإدغامٍ وإشباع وفتح وإمالة وهمزٍ وتخفيفٍ، ونحوه، فالعسر والمشقة عليهم في هذه الأمور أشد من المشقة في استعمال هلمَّ بدل تعالَ أو أقبلْ.

(١) النشر في القراءات، ابن الجزري، ج١، ص٢٤.
(٢) مباحث في علوم القرآن، محمد صبحي، ص١٠٧.